مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم والقول الثاني انها حرمت بدعوة ابراهيم
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت
قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين
وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من انبيايه ورسله وانما كان
تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها
حتى بواها الله تعالى ابراهيم واسكن بها اهله فحينيذ سال ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم
مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته والزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما
بدعوة ابراهيم وافرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها او شجرها
فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم وارزق اهله من الثمرات انما سال ابراهيم ذلك
لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي
من امن منهم بالله واليوم الاخر يعني ارزق المومنين من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم
عليه السلام لما سال ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله تعالى بقوله لا ينال
عهدي الظالمين فصار ذلك تاديبا له في المسيلة فلاجرم خصها هنا بدعايه المومنين دون الكافرين
ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المومن والكافر بقوله قال ومن كفر فامتعه اي سارزق الكافر
ايضا قليلا اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه لا ينقطع ثم اضطره الى عذاب النار اي الجيه
واكرهه وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه وبيس
المصير اي وبيس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت واسماعيل وكانت قصة بنا البيت على ما ذكره العلما واصحاب السير ان الله خلق موضع البيت
قبل ان يخلق الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط
ادم الى الارض استوحش فشكى الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة
له بابان من زمرد اخضر شرقي وغربي فوضعه على موضع البيت وقال يا ادم اني اهبطت لك بيتا
تطوف به كما يطاف حول عرشي وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية
فتوجه ادم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج ادم البيت واقام
المناسك فلما فرغ تلقته الملايكة وقالوا له بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام
قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ايام الطوفان
فرفعه الله الى السما الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون
اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع
البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعدما ولد له اسماعيل
واسحق ببنا بيتا يذكر فيه ويعبد فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله
على موضع البيت وهي ريح خجوج لها راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة
الهبوب وقيل هي الملتوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم

حتى

حتى كانت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوي الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على
قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم
ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنتقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت
الاول فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنا ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم
يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي
اساس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور سينا
وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حرا جبل بمكة فلما انتهى
ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ايتني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ايتني
باحسن منه فمضى اسماعيل يطلب حجرا احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك وديعة عندي
فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقال ان الله تعالى امر ابراهيم واسماعيل
بسبعة املاك يعينونهما في بنا البيت فلما فرغ من بنايه قالا ربنا تقبل منا وفي الاية اضمار تقديره
ويقولان ربنا تقبل منا اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك انك انت السميع اي
لدعاينا العليم يعني بنياتنا قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين لك يعني موحدين مخلصين خاشعين
لك فان قلت
الاسلام اما ان يكون به الدين والانقياد والاستسلام
والانقياد للاعرف نفسيك بالجمعنا الدعا فما فايدة هذا الطلب قلت فيه وجهان
احدهما ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل
فيه ذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان
فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال ومن ذريتنا اي من
اولادنا امة اي جماعة مسلمة اي خاضعة منقادة لك وانما ادخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى
اعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعا فان
قلت لم خص ذريتهما بالدعا قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة
قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا اذا صلحوا صلح الناس بهم غيرهم الا ترى ان
المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد فكيف يتسببون لسداد من ورايهم وقيل اراد بالامة
امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم وارنا اي علمنا وبصرنا مناسكنا اي
شرايع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل
النسك العبادة فاجاب الله دعاهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات
قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا اي تجاوز
عنا انك انت التواب اي المتجاوز عن عباده الرحيم بهم واحتجوا بقوله وتب علينا من جواز الذنوب
على الانبيا ووجهه ان التوبة لا تطلب من التايب الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة
وجه واجيب عنه بان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل لا ينفك عن تقصير في بعض
الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل وكان هذا الدعا لاجل ذلك وقيل يحتمل انما
ان الله تعالى اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة لاوليك الظلمة والمعنى وتب
على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فظاهر الكلام الدعا لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل

Copyright © King Saud University